

## هل تدين الأغريق\*

للأستاذ دريني خشبة

بل إن من الأغريق من أنكر هذا التهرج الميثولوجي ، وكفر بكل التيوغونية اليونانية ؛ وهذا يوريديز نغر أدباء اليونان وشيخ شعرائها ، قد كان من أشد الملحدن سخريه بمعتقدات الناس الدينية قاطبة

والشاعر الدراي أسخيلوس قد حاول في إحدى رواثه المهشة ( برومثيوس المصفد ) أن ينقد هذا الكمال المطلق الذي يضيفه قومه على كبير الآلهة زيوس ؛ بل هو يتهمه بالقسوة والوحشية وعدم الميل إلى ما ينفع العالم ؛ ويضرب لذلك أمثالا طريفة مما جاء في الأساطير القديمة ، كأسطورة ياندورا ويو<sup>(١)</sup> . ثم هذا صولون العظيم يلحد زيوس ويهدف فيه تجديفاً يشبه السباب ، فيقول في الجزء الأول ( ص ٣٢ ) : « إن الله حقوق حبود ، وهو مشغوف أيما شغف برباك الناس وترويههم ! »

على أننا محاولون هنا أن نثبت المعتقدات الشائنة بين العامة ، وهي الفئة الثانية ، في هيلاس ( اليونان ) قبل القرن السادس ( ق . م ) . تلك المعتقدات التي مهما قيل فيها ، لم تخرج عن كونها ألواناً من الديانات البدائية الساذجة ، التي تشبه كثيراً مما دانت به الأمم الجاهلية

ولقد دلت الاستقرارات التاريخية على أن قدماء اليونان كانوا قوماً خابئين ، يخشون الآلهة ، ويرقبونها في كل أعمالهم ، وكانت الظواهر الطبيعية توحى إليهم بأحلام لاهوتية لا يستطيعون الافلات من ربقتها ، فكانوا يقيمون الهياكل الضخمة باسم القوى التي يزخر بها الكون من رياح وشمس وقر ونجوم وبحار ... وكانوا يقيمون التماثيل الرائجة لألهتهم في تلك الهياكل ، ويوكلون بها كهنة يؤدون الشعائر الخاصة بكل منها ، ويتقبلون القرابين والضحايا التي يتقدم بها الشعب للتدين البري في كثير من المناسبات

ومن الأغاني والتراتيل الدينية التي تركها لنا الشاعر الفناي أرفيوس ، نعلم أن عبادة ديونيزوس كانت ذات شأن كبير بين الغالبية العظمى من قبائل الأغريق . وديونيزوس هو إله النماء والخضرة ، وموسمه حين تنضج الحبوب ، وتكسب سندنس

(١) سننمر هاتين الأسطورتين قريباً

لا نحسب أن أمة من الأمم شذت عن قانون التدين فلم تتخذ آلهة تعبدها وتمنوها ، وتلتبس منها البركات ، أو على الأقل ، إلهها تفزع إليه كلما مسها ضر ، أو حزبها أمر . والأغريق ، ككل الأمم ، كانت لهم آلهتهم ومعبدهم وقديسوم . وقد لا نستطيع أن نحصر الأقوال المتضاربة في حقيقة تدينهم ، وهل كانوا ، كالأمة السامية مثلاً ، يستفرقهم هذا التدين ، ويفسر أفكارهم وأعمالهم ؟

فالمشهور عن الأجناس الآرية أنهم قوم آداب رفيعة وفلسفة ، وبذلك امتازوا من الساميين التدينين ، ومن المثل وآر في الهندو المقتشفين . على أن الأغريق ، من وجهة الدين ، ينقسمون إلى فئتين ، إن لم يكن أكثر ؛ فهذه الطبقة المستنيرة المثقفة ، التي ورثتنا تلك الثروة الطيبة من الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والفنون ، قد كان لها وجهة نظرها الخاصة بالنسبة إلى الدين . فلم يكن هوميروس مثلاً يعتقد في آلهة اليونان مثل ما يعتقد هسيود ؛ ولم يكن بندار كذلك ، يعتقد ما يعتقد أرفيوس أو تؤمن به الشاعرة سافو . وقد أثبت البحث أن هوميروس كان ينظر إلى هذه الجمهرة الكبيرة من أرباب اليونان ، ورباتهم ، كما ننظر نحن إلى أشخاص درامية ازدحمت بها الميثولوجيا اليونانية ، وقدمها الشعب ، فرأى أن يستمد منها هذا الخيال الخلو الساذج ، ليكون منه مادة ملاحمه ، وليضفي من هذا الخلود السماوي ، على فناء تلك البشرية الهالكة ؛ ولم يثبت أنه آمن بشيء منها . وذلك عكس ما ثبت من إيمان هسيود ، واحترامه الشديد لجميع الأرباب اليونانية . فقرأ ذلك في مواضع كثيرة من قصيدته الخالدة ( الأرجا Erga ) ومن درته المجيبة ( التيوغونية Theogony )

\* رداً على ما وجهته إليها الآلة ا . ش . فهي — أسيرط من أسئلة عن طريق الرسالة بمناسبة ( أساطير أغريقية ) والكلية ملخصة عن فصل من كتاب عن الأدب اليوناني يظهر قريباً

الترانيل الدينية وتغمرها ، بل كادت تفقد هذه القدسية التي يكنها العابد التزمت لكل ماله علاقة بأربابه . وزاد الطين بلة ، تلك الفلاسفة الخبيثة التي حملها الإيونيون معهم حين غزوا بلاد الأغرريق . فهي قد جرأت الكثيرين على التشكك في صحة معتقداتهم ، وغلا البعض فركن إلى العقل والعلم في النظر إلى الحياة والكون ، وما يزدحمان به من ظاهرات

بيد أنه حدث خلال القرن السادس قبل الميلاد ، من الأحداث اليونانية داخل البلاد وخارجها ، ما شجع الشعور الديني ، وقوى الأواصر بين الشعب وأهله ، بمد إذ كادت تحل وتفكك على أيدي هؤلاء الملاحدة من شيعة الفلسفة الأيونية . ذلك أن الحروب المستمرة التي مزقت أوصال البلاد ، وسقوط مدينة الترف وبلهسية العيش (سيباريس) Sybaris ، أغنى المدن الأغرريقية على خليج تارتوم الايطالي ، وإفلات مدينة نينوى من أيدي اليونانيين . . . كل ذلك حفز الشعور الديني ، وأبتمت المعتقدات القديمة في صدور الدهاء والعامه ، فذكروا آلهتهم ، وخيّل لهم أن ما حل بهم من ضنك ، إنما سببه إغراضهم عنها ، وانشغالهم بما هو أدنى ؟

ومن ثمة ، عمرت الهياكل ، وارتفعت فيها الأصوات بترانيل أرفيوس ، ولهج الشعب المهيض بهذه الزامير يلتمس فيها عزاءً وتسلية . وسرعان ما انتشر مذهب جديد أطلق عليه مذهب (الأرفزم) - نسبة إلى أرفيوس - هو لون طريف من عبادة ديونيزوس يؤمن أتباعه بالثواب والعقاب في الدار الآخرة ، وأس إيمانهم هو الاعتقاد بتجسد الثنية المركبة من الآلهين (ديونيزوس - زجربوس) . وزجربوس هذا هو ابن زيوس من البتول (١) كوريه ؛ وقد حدث أن التيتان (٢) قد حنقوا على زجربوس فقتلوه ، فقيظ أبوه (زيوس) وسلط عليهم الصواعق حتى أبادهم ؛ وعاد فاستولده من إحدى بنات حواء (سيميليه) Semelè ، فعاش كما يعيش الناس ؛ وإن يكن قد بلغ مرتبة الآلهة وهو بينهم ، ثم رفعه أبوه إلى السماء (٣) ، حيث صار فيها السيد الصمد ، والآله الأوحده

(١) Titans هم بعض أبناء وبنات (أورانوس) السماء وبن (الأرض) في الميثولوجية - وهم صرمة جبارة  
(٢) ربما يذكر الفارسي هنا عيسى عليه السلام

القمح ، وتزدهر البساتين فتنتج عن أفواف الورد ، كان موسم الرخاء والرح ، وعيد الخير عند -أثر اليونانيين ؛ لذلك تواضع المؤرخون على تسمية هذا اللوز من ألوان المبادات (بعبادة القمح) ، ولما كان الثابت أن أحداً من الهيلانيين لم يعبد القمح بالذات فترى أن هذه التسمية مجازية ، وأن من الخير للتاريخ أن نعرفها باسمها الحقيقي ، الذي هو (عبادة ديونيزوس) . وقد نشأت هذه العبادة ، أول ما نشأت ، في (إليزيس) Eleusis ، إحدى قرى (أتيكا) ، حيث كانوا يعتقدون أن أم القمح (أي حبة القمح) ؛ وابنها (أي ساق القمح) ؛ بتفضلان على الناس كل شئاء ، فيخرجان من بطن الأرض ليعم الرخاء وينتشر الخير . . .

وقد انتقلت عبادة باخوس ، إله الخمر ، من تراقيا إلى الجنوب ، ثم ما برحت تنتشر وتستفيض ، حتى تمازجت على مر الأيام بعبادة ديونيزوس . وصارت هذه (الثنية) ذات اعتبار كبير. ولاسيما بين العامة . وصار هذا الآله المركب : «ديونيزوس - باخوس» «هورب القمح» . . . والخمر . وإله الحقل . . . والكرم !

ومن دراسة الأدب الأغرريقي في الأسكندرية ورومة ، نعلم أن ديونيزوس - باخوس كان ذا شهرة مستفيضة في المهاجر اليونانية

### أرفيوس ومزجه : «الأرفزم»

وبسوقنا البحث في ديانة الأغرريق إلى الكلام عن أرفيوس الشاعر الديني ، الذي تعتبر ترانيله في الشعر اليوناني كزمامير داود في العهد القديم ، ولأرفيوس ضرب قديم يدعى موسيوس Muszus قد يكون أشمر منه ، وأعلى في دولة الآداب كعباً ، ولكن - للأسف - لم يصلنا من آثاره ما نستطيع به الكشف عن شخصيته ، ولذا نشير إليه ، دون أن نعرض له بشيء . وحسبنا أن نذكر أن مؤرخي الأدب اليوناني يختلفون أشد الاختلاف حول أرقام أرفيوس ، وأكثرهم يرجح أن طائفة كبيرة من هذه الأسماء هي لموسيوس ، وترجو أن يوفق الكاشفون من رجال الآثار إلى شيء يلقي النور على هذه الناحية المتعمة من تاريخ الأدب اليوناني

ولقد كادت ملاحم هوميروس وهسيود تكشف هذه

تقاليد قديمة تغلقت في المذاهب الحديثة التي نشأت في هيلاس بعد القرن السادس ( ق . م ) . آية ذلك أن كل من كان يستبحر في عبادة باخوس Bacchus يصبح باخس Bacchos ، وكل من كان ينجب للآله ( كيبب ) إله فرجيا ، يصير كيببوس Kybēbos وقد انتقلت هذه السنة إلى أتباع مذهب الأرفزم ، فأصبح كل من حواربيه يحمل لقب أرفيوس . . .

وبمثل ما ندر أخلاف الرزق ، السهل اليسر ، على ( واصل ) المسلمين ، وأحبار اليهود ؛ فكذلك كانت القرابين والضحايا والزكوات تقدم بكثرة هائلة ، ومن جميع طبقات الشعب ، إلى الباكيس والباخس والكيببوس والأرفيوس من رجال الكهنوت اليوناني . وكانت هذه الأعطيات والمنح ، تقدم في مناسبات غريبة ، لا تختلف عما هو شائع بيننا اليوم . فهذا يريد الاستفسار عن حلم رآه ، وذلك يطلب وصف دواء لعله استعصت على نفس الأطباء ، وثالث يطلب نبوءة عما تنتهي إليه شدة حلت به ، إلى آخر هذه العلل والأسباب

وللمامة عجلى بأشعار ما قبل التاريخ معني الأدب اليوناني ، تشمر عدى ما كانت متأثرة به من شتى المذاهب الدينية ، وصنوف المبادئ الساذجة التي تفعم هذا الأدب القديم . وأثار الأرفزم شديدة الوضوح في هذه الأشعار ؛ وأشعار أرفيوس خاصة ، تشبه عندنا أشعار عمر بن الفارض ، وهي ترتيلات كان يرسلها الناظم إلى أربابه سلاماً في سلام ، اسمع إليه يتناجي :

« أدعوك يا هيكتيه ياربة الطرق

« يا حامية مفترق الشمام

« يا باعثة الأمن في ديجور الظلام

« أيتها السيطرة على السموات والأرضين والبحار

« يا مؤنسة الموتى في قبورهم ، ميساسة في الوشاح المصفرة

« وأنت يا برسيه ، أضرع اليك

« يا من تؤزرن الهدوء والسكون

« أيتها الليكة التي تقبض على مفاتيح الدنيا

« ألا هلمى ، وكوئي معنا ، إذ نسبح باسمك

« كما تطهر نفوسنا ، وتنقى قلوبنا

ولقد ظل ( ديونيزوس - زجربوس ) صاحب الشأن الأعظم في الديانة اليونانية ، وتنوسى رب الخمر باخوس ، أو على الأقل ، تضاءلت أهميته ، لما كان يشاع عن عباده في تراقيا من القضايح الخزية ، والوقبات التي كانت تنخر كالسوس في أخلاق الشعب ، وتصدع آدابه . ذلك أن كل فرد من عباد باخوس كان لزاماً عليه كطقس من طقوس هذه العبادة الخمرية ، أن يستبيح عرض واحدة من عباداته ، اللاتي كن يطلق عليهن لقب ( ميناد ) Maenad ، فاذا كان الليل ، وبدأت الحفلات الدينية ، انطلقت الشهوات المكبوتة ، وتدفق دم الدعارة حاراً في عروق هؤلاء وهؤلاء ، وراحوا يمارسون أحط ألوان البغاء باسم الشماز الدينية ؛ وكثيراً ما كان يمتدى على أعراض الحرائر ، فلا يستطيع الزوج أو الأب أو الأخ دفع المنكر عن عرضه ، لأن ذلك كان من صميم شريعة باخوس !!

لهذا ، اعتبرت شريعة ديونيزوس - زجربوس ، منبع الطهر الروحي ، والتهديب الصوفي الجميل ، وحافظت على مكانتها ، كديانة عامة لليونان ، منذ قبيل القرن السادس ( ق . م ) إلى ما بعد القرن الرابع . وكان لها قديسوها وعلماؤها ، بل وأنبياؤها أيضاً ، إن صح أن نطلق هذه التسمية في تاريخ الديانة اليونانية ؛ ولقد كانت الغالبية - حتى من العلماء والأدباء - تتناول أبحانها في الأرفزم بكل تأدب واحتشام . وشذ أفلاطون وحده ، عندما ثار ضد ما كانت تبجحه هذه الشريعة - أو قل هذا المذهب - من الفقران وقبول التوب ، لمجرد طقوس تافهة يقوم بها أحد العصاة الآثمين

وكما يطلق العامة في العالم الاسلامي لقب ( واصل ) أو ( صاحب سر ) على كل من زكت نفسه ، وطابت سريرته ، وصفا ما بينه وبين الله ، من المسلمين ؛ وكما يفعل مثل ذلك إخواننا النصراني ؛ وكما يذهب الى هذا التحورريون من اليهود وأحبار ، فكذلك كانت سنة اليونانيين ؛ فكل من نعمت في عبادة ديونيزوس ، واستبحر في تحصيل شريعته ، وكان مع ذلك تام الثقى ، شامل الورع ، ارتفع إلى طبقة باكيس كما يرتفع المخلصون من نساك الهند إلى مرتبة ( مهاتما ) . ويبدو أن هذه

( يوروييا ) تَبَسَّلًا ؟ وقد أثبت في هذا النشيد ما كان في الأزل من اعتداء التيتان على زجربوس وقتلهم إياه ، وتعرض أيضاً للرؤى والأحلام ، وخاض في ذكر هيدنز ( الدار الآخرة )

أما أثر الأرفزم في الألف سنة التي تبدأ بالقرن السادس ق . م فواضح أشد الوضوح ، وهو على أتمه في بندار وهيرودوتس وصولون ، ولا يخلو شيخ الملحدين يوربيديز من إثارة منه ، وقد تأثر به كل من سوفوكلس ، وإسخيلوس ، وتأثرت به الاسكندرية كذلك

\*\*\*

أما هذه الكثرة الدهشة من آلهة اليونان ، فقد سلسلها لنا الشاعر هسيود في منظومته الرائعة ( الشيوچونيه ) (١) ، وهي بكلمة خاصة أولى ؟

دريسي ضمنية

(١) الشيوچونيه تنى علم نشو، وتوالد الآلهة

« باركينيا برسبيه ، وأفيض علينا مما فاض به قلبك الكريم من عجة . . . . »

ويشك بعض المؤرخين في انتشار مذهب الأرفزم قبل القرن السادس ( ق . م ) . غير أن الأناشيد الدينية القديمة تثبت أنه كان لهذا المذهب أشياع كثيرون ومريدون ، بل لقد كانت الآداب تتأثر به في غير صقع من أصقاع اليونان . وهذا نشيد ( الأليمونيس Alemonis ) دليل على ذلك ؛ فلقد ظهر فيه اهتمام الشاعر الذي أنشده بطقوس التطهير ، وشدة حرصه على إيراد ما كان أهل التقى يؤدونه من مراسم دينية ، تستلزمها عملية (تنقية القلب) من الأدران الدنيا ، بالضراعة إلى زجربوس ، رب الأرباب ، الشرف من عليائه على الكون ! والتطهير ومراسمه لب لباب الأرفزم

وقد أثبتت دراسات الأساتذة الألمان كارل ملار ونوك وكنتكل وغيرهم أن شاعر كورنثه فيما قبل التاريخ ( يوميلوس ) كان يدين بالأرفزم ؛ وأنه تبثل إلى ديونيزوس في نشيده الجميل

صدر حديثاً :

# أحاديث حديتي

تأليف الأئمة :

سهيير القليماوي

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

بشارع الكرداسي رقم ٩ ( عابدين ) بمصر

ومن مجلة الرسالة

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٦ قروش عدا أجرة البريد

وزارة المعارف العمومية

اعلان مسابقة

عن الحاجة إلى كتب للمدارس الصناعية

تعلم الوزارة عن حاجتها الى طائفة من الكتب توضع وفقاً للبرنامج الجديدة المقررة للمدارس الصناعية — وتقدم للوزارة في ميعاد غايته ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥

وبيان هذه الكتب وشروط المسابقة موجود بأدارة مخازن الوزارة بالقاهرة . ويمكن طلبه منها أو الاطلاع عليه بها أو بعدد الوقائع المصرية نمرة ١٤ الصادر في ١٤ فبراير

سنة ١٩٣٥